رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ

«ماذا يشبه المسيحي؟» (رومية ١٢: ١٤-١٦)

تأليف: دفيد روبر

سمع صبي كلمة «مسيحي» عدة مرات في الحصص الدراسية وفي الموعظات، ولكنه لم يكن يعلم يقيناً ماذا تعني هذه الكلمة. وفي يوم ما، سأل أبوه قائلاً: «يا بابا، ما هو المسيحي؟» قال له أبوه أن المسيحي هو من ينتمي إلى المسيح وشرح له كيف يصبح الشخص مسيحياً. ولكن الصبي ظل متحيراً. فقال له أباه: «يجب للمسيحي أن يعيش حياة معينة، أني أدرس الأصحاح ١٢ من الرسالة إلى أهل رومية، وهذا الأصحاح عبارة عن خلاصة جيدة عن الكيفية التي ينبغي بها للمسيحي أن يتصرف في مختلف الحالات». أخذ مذكراته عن رومية ١٢: ٩-١٦ وقرأ ما يلي: «المسيحي محب وغير أناني ومتحمس وثابت على المبدأ ومتواضع»[١]. فكر الصبي عن كلام أبيه هذا ثم قال: «هل رأيتُ مسيحياً واحداً من قبل؟».

ناشد بولس كل مسيحي في رومية ١٢: ٢ أن يحيا حياة جديدة. وفي الآيات ٩ إلى ١٦ قدم أمثلة للحياة الجديدة. ما يشبه المسيحي. لقد درسنا الآيات ٩ إلى ١٣ تحت العنوان «مطلب المحبة». وسنتحدث في هذا الدرس عن الآيات الثلاث الباقية. ليس هناك شيء جديد في القائمة التي قدمها بولس. ربما كان قراءه يسمعون عادة نصائح مشابهة لهذه، ولكن أراد بولس لهم أن يفهموا أن هذا النوع من الحياة يجب أن يكون نتيجة طبيعية للتبرير بالإيمان.

توصيات بولس هذه وثيقة الصلة بيومنا هذا كما كانت في القرن الأول. كتب آر سي بيل: «لا تكمن الصعوبة في فهم متطلبات هذا النص، بل في تطبيقها»[٢]. التوكيد الموضوع في نص درسنا هذا هو على علاقاتنا مع الآخرين (المسيحيون والجيران والأصدقاء وحتى أعدائنا). عند دراستنا لهذا النص، سنكتشف «ماذا يشبه المسيحي» في حالات معينة. يجب أن يطرح كل منا السؤال التالي: «هل الذين يعرفونني رأوا مسيحياً من قبل؟»

المسيحي رؤوف (١٢: ١٤)

نطق يسوع بكلمات مذهلة خلال خدمته الأرضية بما يختص بالكيفية التي يتعامل بها العالم مع أتباعه. قال لتلاميذه: «طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ» (متى ٥: ١١). وقال أيضاً: «طُوبَاكُمْ إِذَا أَبْغَضَكُمُ النَّاسُ، وَإِذَا أَفْرَزُوكُمْ وَعَيَّرُوكُمْ، وَأَخْرَجُوا اسْمَكُمْ كَشِرِّيرٍ مِنْ أَجْلِ ابْنِ الإِنْسَانِ» (لوقا ٦: ٢٢). ماذا «يشبه» المسيحي عندما يجد نفسه في مثل تلك الحالات؟ قال بولس انه عندما يتم معاملة المسيحي بمثل هذه الطريقة، يجب أن يكون رؤوفاً: «بَارِكُوا عَلَى الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ. بَارِكُوا وَلاَ تَلْعَنُوا». تقدم هذه الكلمات موضوع سيتم توسيعه في الآيات الخمسة الأخيرة من هذا الأصحاح (رومية ١٢: ١٧-٢١).

كلمة «باركوا» هنا هي من اليونانية «يولوجيو εὐλογέω» ومعناها «كلام جيد» {أي «مدح»}. في هذه الحالة «المدح» تعني كلام جيد لله نيابة عن الذين يسيؤون إلينا. كلمة «تلعنوا» لا تعني «الشتيمة»، بل هي عكس «باركوا». وتشير النداء بإنزال لعنات الله على مضطهدينا. {أي أن الآية ١٤ تقول: «أطلبوا من الله أن

[١] إن أردت أن تقدم رومية ١٢: ٩-١٢ في درس واحد وتستخدم عنوان هذا الدرس عنواناً لدرسك، قد تكون هذه الصفات العناوين الرئيسية - واحدة لكل آية. لقد نظرنا في الصفة الأولى من الصفات الخمسة الأولى للمحبة في الدرس الذي بعنوان «مطلب المحبة (١٢: ٩-١٣)».

[٢] آر سي بيل في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «Studies in Romans»، صفحة ١٣٨.

يبارك الذين يسيؤون إليكم، باركوهم ولا تلعنوهم»}. تعدد هذه الآية تعليم يسوع القائل: «بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ» (لوقا ٦: ٢٨؛ راجع متى ٥: ٤٤).

أتوقع الاعتراض التالي: «ولكن هذا مستحيل!» هذا أمر صعب، ولكنه غير مستحيل. هذا ما فعل يسوع على الصليب عندما قال: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لوقا ٢٣: ٣٤). وهذا أيضاً ما فعل إستفانوس عند رجمه بالحجارة حتى الموت، إذ صلى قائلاً: «يَارَبُّ، لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ» (أعمال ٧: ٦٠). وهذا ما فعل بولس. قال لأهل كورنثوس: «... نُشْتَمُ فَنُبَارِكُ ...» (١ كورنثوس ٤: ١٢).

تركز رومية ١٢: ١٤ بصفة أساسية على اضطهاد المسيحي، ولكن يمكن تطبيق هذه الآية على حالات أخرى من سوء المعاملة. يُعامل المسيحيون معاملة سيئة أحياناً لأنهم يعيشون في العالم الذي ليس الجميع فيه لطفاء نحو الآخرين. في مثل هذه الحالات عادة ما يلعن غير المسيحيين – ولكن المسيحي يبارك. عندما تأتي سوء المعاملة (بغض النظر عن مصدرها)، «ماذا يجب أن يشبه المسيحي؟» المسيحي رؤوف.

المسيحي عطوف (١٢: ١٥)

صفة أخرى لمن يتبع المسيح هي انه يجب أن يكون عطوفاً. كتب بولس قائلاً: «فَرَحًا مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ» (الآية ١٥). لهذه النصيحة تطبيق خاص على علاقتنا مع المسيحيين الآخرين. وضع بولس التوكيد في الجزء الأول من الأصحاح ١٢ من الرسالة إلى أهل رومية على اننا «... نَحْنُ الْكَثِيرِينَ جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاءٌ بَعْضًا لِبَعْضٍ، كُلٌّ وَاحِدٍ لِلآخَرِ» (الآيتان ٤ و٥). وقال عندما كتب إلى أهل كورنثوس: «فَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ {في الجسد} يَتَأَلَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ. وَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يُكَرَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَفْرَحُ مَعَهُ» (١ كورنثوس ١٢: ٢٦).

ما ورد في رومية ١٢: ١٥ يقتضي ضمناً علاقة حميمة بين أعضاء الكنيسة. وهذه العلاقة الحميمة لا يمكن بلوغها بمجرد تناول عشاء الرب مع المسيحيين الآخرين كل أسبوع. ولا يمكن بلوغها بمجرد حضور خدمات العبادة في الكنيسة عدة مرات في الأسبوع. ولا يمكن بلوغها أيضاً بتبادل الأحاديث قبل وبعد دروس الكتاب المقدس أو خدمات العبادة. كل ما سبق ذكره هنا مهم، ولكن الآية ١٥ تدعو إلى أكثر من ذلك. يعترف أحد المحاضرون بجامعة أوكلاهوما المسيحية بانه منطوي على ذاته، ومع ذلك يقول للطلاب: «بغض النظر ما إذا كانت طبيعتنا وُدِّية أم لا، يدعونا الكتاب المقدس لأن نشارك الناس في حياتهم»[٣]. تتحسن علاقاتنا بعضنا مع بعض أكثر فأكثر عندما نقوم بزيارات ودية بعضنا لبعض ونشارك بعضنا البعض في أحداث الحياة التي تجلب الأفراح والأحزان.

كيف نجعل مثل هذه العلاقة الحميمة حقيقة ملموسة في جسد المسيح؟ الكلمتين الرئيسيتين هما «الاهتمام» و«المشاركة». ينبغي أن نهتم بما يحدث في حياة إخوتنا وأخواتنا في المسيح. ثم ينبغي أن نشارك أحداث حياتنا الجيدة وغير الجيدة مع المسيحيين الآخرين.

مع أن السياق يدل على أن الآية ١٥ تشير بصفة أساسية إلى المسيحيين الآخرين، إلا انه قد يكون لهذا النص تطبيق أوسع. ينبغي أن يهتم المسيحي بحياة الذين يلاقيهم، وكل الذين يريد أن يترك فيهم تأثير إيجابي. ويفعل هذا لأن هذا شيء قويم، ولكن تكون هناك أحياناً فائدة إضافية: يكون الناس عادة أكثر قبولاً للإنجيل في الأوقات المثيرة في حياتهم. في الأفراح أو الأحزان.

دعني أجعل توصيات بولس في الآية ١٥ أكثر تحدياً. كيف يكون الحال إذا كان شيء جيد يحدث لشخص آخر بينما يبدو أن الأشياء الرديئة فقط هي التي تحدث لك؟[٤]. هل تستطيع أن تفرح معه؟ كيف يكون الحال إذا كان شخص آخر يسيء إليك، وأصبح لديه فجأة مأساة ما؟ هل تستطيع أن تبكي معه، أم تقول في نفسك: «لقد نال ما يستحقه»؟ قد يعترض شخص ما ويقول:

---

[٣] لوقا هارتمن في موعظته بعنوان «God's Call to Love» والتي ألقاها بإحدى كنائس المسيح في مدينة ميدوست بولاية أوكلاهوما الأميركية في ١٧ يوليو سنة ٢٠٠٥.

[٤] أضف بعض الأمثلة التي تتناسب والمنطقة التي تقيم فيها، مثل انه نال الإكرام الذي تستحقه».

«ليس من الطبيعي أن نفرح أو نبكي مع شخص آخر تحت الظروف التي وصفتها». هذا صحيح انه ليس من الطبيعي، ولكن مطلوب من المسيحيين أن يرتفعوا إلى ما فوق الميول الطبيعية للجسد بعون الله.

ينبغي للمسيح أن يفرح ويتألم مع أي شخص. المسيحي عطوف.

المسيحي متواضع (١٢: ١٦)

في الأية ١٦ خاطب بولس الذين يعتبرون أنفسهم أفضل من الآخرين لأنهم أكثر غنى أو أكثر سلطان، ولأنهم أكثر هبة أو أكثر تعليماً، أو لأي سبب من الأسباب. قد نطبق هذا النص أيضاً على الذين يشعرون بالتفوق على أعضاء الكنيسة الآخرين لأنهم مسيحيون لمدة أطول أو لهم أكثر معرفة بالكتاب المقدس، أو أكثر نشاطاً في عمل الكنيسة، أويعيشون حياة التقوى أكثر، إلخ.

السلوك

بدأ بولس قائلاً: «مُهْتَمِّينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ اهْتِمَامًا وَاحِدًا ...» (الآية ١٦). يشير الطلب بان نكون «فِي فِكْرٍ وَاحِدٍ وَرَأْيٍ وَاحِدٍ» في مكان آخر إلى الوحدة في ما نؤمن به أو نعلم {للآخرين} (١ كورنثوس ١: ١٠). ولكن يبدو ان هذا يعني «أن نتعامل مع الجميع بالمثل؛ أن لا تكون لنا محاباة».

المزاملة/الشراكة

يستمر النص الذي نحن بصدده: «... غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِالأُمُورِ الْعَالِيَةِ بَلْ مُنْقَادِينَ إِلَى الْمُتَّضِعِينَ ...» (رومية ١٢: ١٦). كان التعصب الأعمى موجود في زمان بولس كما هو الحال في يومنا هذا. صور لنا يعقوب الكيفية التي يمكن أن يُعامل بل الغني والفقير في اجتماع الكنيسة (راجع يعقوب ٢: ١-٩). تُحكى قصة عن شخص يرتدي ثياباً رثة ذهب إلى خدمة العبادة في كنيسة غنية. فجلس بجانب امرأة كانث ثيابها وجواهرها تبين غناها. ابتعدت المرأة بعيداً عن هذا الزائر بقدر ما استطاعت. وعندما جاء المرشد {الذي يرشد الناس إلى المقاعد}، همست له بصوت عال قائلة: «هل تشم ما أشمه؟». قال لها: «انعم، اعتقد انها رائحة الكبرياء القبيحة».

المسيحية هي الميزان العظيم (غلاطية ٣: ٢٨). لا يعرف المسيح الفرق في المقامات ولا نظام تمييز الطبقات. عندما كنتُ طالباً بكلية أبيلين المسيحية (اصبحت جامعة حالياً)، كان رئيس الجامعة أحد شيوخ كنيسة المسيح المحلية، وهكذا كان أيضاً أحد الفراشين بالجامعة شيخاً في الكنيسة نفسها. عندما كان الاثنان يجلسان معاً في اجتماع الشيوخ، يكون رأي أحدهما أهم بقدر أهمية رأي الآخر.

بالعودة إلى الحالة السائدة في زمان بولس، ربما كانت في معظم الكنائس نسبة عالية من الأعضاء الفقراء (١ كورنثوس ١: ٢٦-٢٨). علاوة على ذلك، أصبح كل من السادة والعبيد مسيحيين (راجع أفسس ٦: ٥-٩). أيمكنك أن تتصور الاضطراب العاطفي الذي كان يختبره كل طرف من ذينك الطرفين في أول مرة يجلس فيها العبد وسيده جنباً إلى جنب عند خدمة العبادة ويتناولان عشاء الرب معاً؟

ليساعدنا الله كي نتصرف كمسيحيين نحو جميع الناس. يوجد في كل كنيسة تقريباً شخص واحد على الأقل يشعر وكأنه لا ينتمي إلى تلك الجماعة، أو يشعر بشيء من الخجل، ينبغي للمسيحي أن يبحث عن مثل هؤلاء الأشخاص، ويتحدث إليهم ويجعلهم يختبرون القبول والمحبة.

لا يجب أن نتكبر، بل نتواضع في المصاحبة {أي المعاشرة} والعمل كلاهما. صاحب يسوع وعاشر أصحاب المنزلة الدنيئة وقام بعمل العبد عندما غسل أرجل تلاميذه (يوحنا ١٣: ٥-١٧). كان بولس يدعم نفسه عادة إذ كان يقوم ببعض الأعمال اليدوية (١ كورنثوس ٤: ١٢؛ أعمال ١٨: ٣). يوجد في كثير من أنحاء العالم مسيحيين يعملون كل أيام الأسبوع في ما يسمى بـ«الوظائف العلمانية» لكي يستطيعوا أن يكرزوا بالإنجيل في أيام الأحاد.

توبيخ

اختتم بولس رومية ١٢: ١٦ بهذا التحذير: «... لاَ تَكُونُوا حُكَمَاءَ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ» (الآية ١٦؛ راجع أمثال ٣: ٧). هل عرفت قط شخص يتظاهر كأنه «يعرف كل شيء»؟ بغض النظر عن موضوع الحديث، يحاول أن يقنع الجميع بانه صاحب السلطة أو المرجع لذلك الموضوع. نحاول عادة تجنب مثل هؤلاء الناس. كتب ليون موريس قائلاً: «الشخص الحكيم عند نفسه نادراً ما يكون كذلك عند الآخرين»[٥]. ولكن لم يكن هدف بولس أن نشير بأصبع الاتهام إلى الآخرين، بل أن نفحص أنفسنا. سواء كنا نتحدث عن الحكمة بمفهوم الكتاب المقدس أو «الذوق السليم» {أو الفطرة السليمة}، فان الذين هم حكماء حقاً يدرون بان هناك الكثير لا يعرفونه وهناك الكثير لا يفهمونه.

«ماذا يشبه المسيحي؟» انه متواضع. هذا صحيح سواء كان يتعامل مع المسيحيين الآخرين أو مع الذين هم في العالم. انه يحترم كل شخص ويقبل كل شخص، ولا يحاول أن يترك إنطباع بانه أفضل من أي شخص آخر. قال جون آر دبليو ستوت أن «سلوك المتملقين من أسواء أنواع الكبرياء»[٦].

يجب أن أقول هنا أن «القبول لا يعني مساندة»[٧]. قد نحترم الاخرين دون أن نساند معتقداتهم أو طريقة حياتهم. كان يسوع صديق للخطاة (متى ١١: ١٩)، ولكنه قال: «اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا» (يوحنا ٨: ١١).

لنتطرق إلى تطبيق واحد أخير. خاطب بولس بصفة خاصة الذين قد نسميهم «الطبقة الراقية»، ولكن ما اختبرته هو أن الجميع يحتاجون إلى الخبر الوارد في رومية ١٢: ١٦ بغض النظر عن مكانتهم في الحياة. لقد سمعت كثير من الذين يملكون القليل من المال يتحدثون سلبياً عن الذين لهم أموالاً كثيراً. وسمعت الذين هم بمستوي تعليم أدنى يهزؤن من الذين هم بدرجات تعليمية عالية. هناك رغبة غريزية تجعلنا نعتقد لسبب ما باننا أفضل من غيرنا: بسبب المكان الذي نعيش فيه، بسبب لون بشرتنا، بسبب انتمآتنا السياسية – وما شبه ذلك. هذه الأمور غير ذات أهمية كبرى بالنسبة للمسيحي. لأنه يحب جميع الناس، وهو متواضع.

الخلاصة

لقد وضعنا درسين عن رومية ١٢: ٩-١٦. توضح هذه الآيات أن المسيح يريد لنا أن نحيا حياة مختلفة عن العالم. انه يدعو جميع المسيحيين ليكونوا محبين وغير أنانيين ومتحمسين وثابتين على المبدأ ومفيدين ورؤوفين وعطوفين ومتواضعين. أتمنى ان تطبق هذا على المستوى الشخصي: «هل الذين من حولي قد رأوا قط ماذا يشبه المسيحي؟»

طالب منا الرب في رومية ١٢: ٩-١٦ أن نحيا فوق مثال العالم ومعياره. قال اننا نستطيع أن نفعل هذا بعونه. سنقبل هذا المطلب نجتهد أن نحيا كما يحيا المسيحيين. أم نسمع كلام بولس دون أن نسمح له بان يغير حياتنا؟

مذكرة للمبشرين والمعلمين

عندما تقدم هذه الموعظة، يجب أن تخبر مستمعيك كيف يصبحوا مسيحيين (مرقس ١٦: ١٦؛ أعمال ٢: ٣٨). ووضح لهم أيضاً كيف يمكن استرداد المسيحي الذي ضل ويبدأ يعيش كمسيحي مرة أخرى (أعمال ٨: ٢٢؛ ١ يوحنا ١: ٩). لقد قدمتُ نقطة رئيسية واحدة فقط مقابل كل آية كما فعلتُ في الدرس الذي بعنوان «مطلب المحبة (١٢: ٩-١٣)»، ولكن يمكنك ان تستخدم عدة عناوين جانبية لما ورد في الآية ٣.

---

[٥] ليون موريس في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «The Epistle to the Romans»، صفحة ٤٥١.

[٦] جون آر دبليو ستوت في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «The Message of Romans: God's Good News for the World» من سلسلة «The Bible Speaks Today series»، صفحة ٣٣٣.

[٧] ريتشارد أي باتي في تفسيره بعنوان «The Letter of Paul to the Romans» من مجلد «The Living Word Commentary»، صفحة ١٥٥.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠